المنهج القضائي لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته

سميه بنت الله دته*

انتهي عهد النبوة بوفاة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم سنة عشر من الهجرة ، وقد أكمل الله به الدين و أتمّ به النعمة على المؤمنين ، وقام رسول الله بتبليغ رسالة ربه خير قيام و أدى الأمانة و بين الحق و نفذ الأحكام ، مؤيدا بالوحي و التسديد من الله العلي الحكيم فكان عهده القدوة الهادية و الأسوة الحسنة لمن أتى بعده من الخلفاء و الحكام المسلمين .

و قام الخلفاء الراشدون من بعدهُ صلى الله عليه وسلم خير قيام ،فجاهدوا في الله حق جهاده و جموا حوزة الدين ، كيف لا وقد تخرجوا في مدرسة النبوة ، وتربوا على يدي الرسول الكريم رضى الله عنهم وأرضاهم فكانوا مثالا يحتذى في تطبيق الإسلام على أنفسهم قبل غيرهم و حملوا الراية و اجتهدوا في الحكم بين الناس و فض المنازعات بما جاء في كتاب الله و سنة رسوله ، و ما لم يجدوا فيه نصا استنبطوا من عمومات النصوص أحكامه ،فأعطوا لكل واقعة حكمها استنادا إلى كتاب الله و سنة نبيهم و اجتهادهم الأمين المستنير بصحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم . و قد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالخير و الفضل على من سواهم من المسلمين ،ونبّه على موقعهم من المعرفة بالدين ،والاقتداء بشرع الله فقال "**خير الناس قرني ،ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**" (١)

---

* طالبة الدكتوراة،قسم الدراسات الاسلامية ، جامعة كراتشي

و قـــال أيضا " **علـــيكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**" (٢)

و نبّه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى قدر أبي بكر الصديق و عمر رضي الله عنهما خاصة حيث قال " **اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر و عمر** " رضـــي الله عنهما (٣) و كان لهؤلاء الخلفاء الراشدين من شرف الصحبة، و فضل التقوى، و كمال الفهم و المعرفة، وصدق العزم في تنفيذ الشريعة السمحاء واقامـــة العـــدل بين الرعية جمعاء ، وأخذ أنفسهم و الناس بالحق في الضراء و الســـراء و المكـــره و المنشة ما جعل عهدهم أفضل العهود بعد عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم .

منهج أبي بكر في القضاء

كـــان زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قصير جدا لم يتجاوز ســـنتين و ثلاثة أشهر و بعض الأيام [١٠ـــــ ١٣ هج] و انشغل بالحروب و القضـــاء على الفتنة التي اشتعل نارها المرتدون من بعض القبائل بعد وفاة رسول الله صـــلى الله عليه و سلم ممن هم حديثو عهد بلا سلام و لم يفهموا الاسلام حق الفهم .

و كان عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه امتدادا لزمن النبي صلى الله عليه و سلم فلم يحدث تغيرا كبير في القضاء ، و سأذكر أهم ملامح القضاء في عهده .

ا-كـــان يباشر بنفسه القضاء بين الناس في المدينة و ولاته يباشرونه في الأمصـــار ،فيقضون بين الناس في خصوما تهم، فقد كان الولاة هم القضاة في

أمـــاكن عملهم ، وكان القضاء جزءا من سلطتهم و اختصاصهم لأن أعباءهم لم تكن بالكثرة التي تحول بينهم و بين القضاء .

ب –فصل القضاء عن الولاية العامة ، حيث ولى عمر بن الخطاب رضي الله عـــنه القضاء في المدينة، بينما تركها على ما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تحت الولاية العامة ،كما ذكره محارب بن دثار"فقال لما استخلف أبو بكر قال لعمر و لأبي عبيدة بن الجراح : انه لابد لي من أعوان فقال له عمر : أنا أكفيك القضاء و قال أبو عبيده : وأنا أكفيك بيت المال.(٤)

ج –أقـــر عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعمالهم التي كانوا يقومون بها ، و طلب من كبار الصحابة و فقهائهم أن يعينوه على ما تولاّه وما تحملـــه من خدمة الرعية و القيام على مصالحها و شؤنها كما سبق أن عمر قال: أنا أكفيك القضاء و قال أبو عبيده : وأنا أكفيك بيت المال.

د – أشاع العدل و الانصاف بين الناس مما نتج عنه قلة الخصومات و المـــنازعات ، وقـــد أعلن سياسته التي سينتهجها و خطبته التي قال يوم أن بويع بالخلافـــة (أيهـــا الناس فاني قد وليت عليكم و لست بخيركم ، فان أحسنت فأعيـــنوني و ان أســـأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة و الضعيف فيكم قوي عندي حتى اريح عليه حقه ان شاء الله و القوي منكم ضعيف عندي حـــتى أخـــذ الحق منه ان شاء الله ، لايدع أحدمنكم الجهاد في سبيل الله ، فانه لايدعه قوم الا ضربهم الله بالذل ، ولاتشيع الفاحشة في قوم الا عمّهم الله بالبلاء ،أطيعوني ما أطعت الله و رسوله ، فاذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله)(٥)

و كان أبو بكر يراقب عماله و يعلن للناس أنه سيقتص من الظلمة كما روي عـــنه أنه جلس بعد قضاء عمرته قريبا من دار الندوة فقال "هل من أحد يشتكي من ظلامة أو يطلب حقا " فما أتاه أحد و أثنى الناس على واليهم خيرا (٦).

و من اسباب قلة القضايا في عهد أبي بكر ما يتمتع به عامة المسلمين من قـــوة الايمـــان و مراقبة الله و انشغالهم بالحياة الآخرة عن الحياة الدنيا ، حيث يـــنظرون الى الدنـــيا على انها طريق الآخرة و ممر الى الآخرة فالدنيا ليست هدف و لا غاية انما الهدف هو رضوان الله كما قال الله تعالى "وانالدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون "(٧)

و كـــان طـــريق استباطه للآحكام و القضايا انه يبحث عن الواقعة في كـــتاب الله ، فـــان لم يجـــد طلبها فى السنة والا سلك فيها طريق الشورى و المدارسة مع كبار الصحابة كما روي انه كان اذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهـــل الـــراى و أهل الفقه دعا رجالا من المهاجرين و الأنصار و دعا عمر و عثمان و عليا و عبدر الرحمن بن عوف و معاذ بن جبل و أبي بن كعب و زيد بن ثابت ، و كل هولاء كان يفتي في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .(٨)

و ايضـــا روي انه اذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى فان وجد فـــيه ما يقضي به قضى به ، وان لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله ، فـــان وجـــد فيها ما يقضي به قضى به ، فان أعياه سأل الناس : هل علمتم أن رســـول الله قضى فيه بقضاء ؟ فربما قام اليه القوم ، فيقولون :قضى فيه بكذا و

كذا فان لم يجد سنة سنها رسول الله جمع رؤساء الناس فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شئى قضى به ٠(٩)

و **خلاصـــة القول** : ان مصادر القضاء في عهد أبي بكر ثلاثة الا و هي كـــتاب الله ، وســـنة رسول الله ، و الاجماع المعتمد على كتاب الله و السنة و كـــان رضـــي الله عنه يكره القول بالرأى و ينفر منه و روى عنه انه قال : أى أرض تقلني و أى سماء تظلني أن قلت في آية من كتاب الله برأى أو بما لاأعلم ٠ (١٠)

نماذج من أقضية أبي بكر رضي الله عنه :

هـــناك بعـــض القضايا قام به أبوبكر الصديق رضي الله عنه بالقضاء بها كما نقل عن ابن ماجد ة السهمي قال : قاتلت رجلا فقطعت بعض أذنه فقدم أبـــو بكر حاجا فرفع شأننا اليه فقال لعمر :أنظر هل بلغ أن يقتص منه ؟ قال : نعم عليّ الحجام ٠(١١) و قضاؤه في ميراث الجد مع الأخوة معروف انه جعل الجـــد بمنزلة الأب و قال ان الأخوة لاترث مع الجد كما لاترث مع الأب، اذا مـــات شخص و ترك مالا و ليس له ولد ولا ولد الولد فجميع المال للجد عند عـــدم الأب و لايشاركه فيه أخوة المتوفى ولا اخواته بشئي من الميراث(١٢)و كذالك قضاؤه في ميراث الجدة انها بمنزلة الأم و تاخذ السدس نصيب الأم عند عدم الأم ٠(١٣)

و أخيرا نذكر قضاة من عيّنهم في خلافته و جلهم هم الذين عينهم النبي صلى الله عليه وسلم في حياته و استمروا علو هذا المنصب العظيم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وقد سبق انا ذكرنا انه لم يفصل القضاء عن الولاية العامة خارج المدينة و انما كان الولاة هم الذين يتولون القضاء بين الناس في خصوماتهم و الذين جاء ذكرهم ما يلي:

أ- عتاب بن اسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد الشمس - والى مكة مكرمة- و كان قد ولاه النبي صلى الله عليه و سلم بعد فتحها حين سار الى حنين و قيل بعد رجوعه من الطائف ،فلما عينه النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل مكة : يارسول الله استعملت على أهل الله أعرابيا جافيا فقال "اني رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقعقها حتى فتح له و دخل و مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه .(١٤)

ب- عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان الثقفي أسلم في وفد ثقيف : كان والي الطائف و أقره أبو بكر على ولايتها و كان والياً عليها من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم و استعمله عمر على عمان و البحرين و هو الذي منع ثقيف

عـــن الردة و مات في خلافة معاوية سنة خمسين و عاش ما يقارب مائة و عشرون سنة ٠(١٥)

ت- أبو موسى الأشعري المعروف بكنيته و اسمه عبد الله بن قيس بن سليم و كان من سكن الرملة و هاجر الى الحبشة بعد اسلامه و قدم المدينة بعد فتح خيبر والى زبيد ورمع من ارض اليمن من قبل النبي صلى الله عليه و سلم و استعمله عمر رضي الله عنه على البصرة بعد المغيرة فافتتح الأهواز ثم أصفهان ثم استعمله عثمان على الكوفة و كان حسن الصوت بالقرآن و قيل له النبي صلى الله عليه و سلم لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود ٠ و مات سنة ثلاث و خمسين بالكوفة و كان عمره ثلاثا و ستون سنة ٠(١٦)

ث- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، كان أبـــيض وضـــيء الوجـــه براق الثنايا أكحل العينين و شهد المشاهد كلها فقال له عمر رضي الله عنه عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ لهلك عمر ٠و مناقبه كثيرة جدا و قدم من اليمن في خلافة أبي بكر و كانت وفاته بالطاعون في الشـــام ســـنة سبع و عشرة و عمره أربع و ثلاثون سنة والى الجند من ارض اليمن ٠(١٧)

ج- المهاجـــر بن أبي أمية بن عبد الله القرشي المخزومي شقيق أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم و كان اسمه الوليد فغيره النبى صلى الله عليه وسلم والى صنعاء من قـــبل النـــبي صلى الله عليه وسلم فأقره أبو بكر و كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه وائل بن حجر كتابا خاصـــا لوائل و بدأه "بسم الله الرحمن الرحيم ٠ من محمد رســـول الله الى المهاجـــر بن أبي أمية ، ان وائلا يستسعيني ونوفلا على الأقيالحيث كانوا من حضرموت ٠٠٠ و كان قد افتتح حصن النجير بعد ردة أهلها فأقره عليها٠ (١٨)

ح- زيـــاد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان الأنصاري البياضي هو ممن شهد العقبة و بدرا- والى حضرموت من قبل النبي صلى الله علـــيه وســـلم ثم استعمله أبو بكر قتال أهل الردة من كندة (١٩)٠

ح- يعـــلى بـــن أمية بن أبي عبيدة بن همام الحنظلي و كنيته أبو خلـــف - والى خولان -و استعمله أبو بكر على حلوان في الـــردة ثم عمل لعمر على بعض اليمن ثم عمل لعثمان على صـــنعاء الـــيمن ، فخرج مع عائشه في وقعة الجمل ثم شهد صـــفين مع على رضى الله عنه و مات سنة سبع و أربعين٠((٢٠

د- جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر البجلي — والى نجران —و قال عن اسلامه لما بعث النبي صلى الله عليه و سلم أتيته فقال ما جاء بك قلت جئت لاسلم فألقى الي كساؤه و قـــال عمـــر عنه هو يوسف هذه الأمة و توفي رحمه الله سنة أربع و خمسين ٠(٢١)

ذ- عـــبد الله بن ثور —أحد بني الغوث — كان أمير في الردة ، وان ابا بكر كتب اليه لما مات النبي صلى الله عليه و سلم أن يجمـــع اليه من أطاعه من العرب و من الستجاب له من أهل تهامـــة حتى يأتيه أمره ٠و توجه مع المهاجر بن أبي أمية الى جرش أميرا عليها ٠(٢٢)

ر- العـــلاء بـــن الحضرمي و اسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك — والى البحرين — و استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على البحرين و أقره أبو بكر ثم عمر و كان يقال عـــنه انـــه مستجاب الدعوة و توفي رضى الله عنه سنة أربع عشرة و قيل احدى و عشرين ٠(٢٣)

ز- عياض بن غنم ابن زهير بن أبي شداد الفهري — والى دومة الجندل- هاجر الهجرة الثانية الى ارض الحبشة و شهد بدر و أحـــد و الخندق و المشاهد و هو الذى فتح بلاد الجزيرة و

صالحه أهله و هو اول من أجاز الدرب و توفى رضى الله عنه سنة عشرين ٠(٢٤)

المراجع و المصادر

(١)البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح مع فتح الباري ط القاهرة ، المطبعة السلفية ج٧ ص ٣

(٢) أبو داؤد ، سليمان بن أشعث السجستاني ، سنن أبي داؤد ، ط مصر ،مصطفى البابى الحلبى ،كتاب السنة باب لزوم السنة ج٢ ص ٥-٦

(٣) الترمذي ، أبو عيسي،محمد بن عيسى، سنن الترمذي ،ط بيروت، دار احياء التراث العربى، كتاب المناقب ج٥ ص ٦٠٩

(٤) الطبري، محمد بن جرير ،تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دارالفكر ١٩٧٩م ج ٤ ص ٥٠

(٥) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الامم و الملوك ج٣ ص ٢٠٣

(٦) ابن سعد ، محمد الطبقات الكبرى ، بيروت، داربيروت للطباعة والنشر١٩٧٨م ج ٣ ص ١٨٧

(٧) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت رقم الاية ٦٤

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٥٠ س

(٩) ابن القيم الجوزي ، اعلام الموقعين عن رب العالمين مصر ،مطبعة المدني ١٩٦٩م ج١ ص ٦٥

(١٠) المرجع السابق ج ١ ص ٥٧

(١١) أبو داؤد ، السنن ، كتاب الاجارة باب الصنائع ج ٢ ص ٢٤٠

(١٢) البخاري، كتاب الفرائض ، باب ميراث الجد مع الأب و الاخوة ج ١٢ ص ١٨

(١٣) الترمذى ، السنن ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الجدة ج٤ ص ٤١٩

(١٤) العسقلاني، احمد ابن حجر ، الاصابة في تميز الصحابه ، بيروت، دارالكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٥م ج٤ ص ٣٥٦-٣٥٧

(١٥) المرجع السابق ج ٤ ص ٣٧٥

(١٦) المرجع السابق ج ٤ ص ١٨١ —١٨٢

(١٧) المرجع السابق ج ٦ ص ١٠٧ —١٠٨

(١٨) المرجع السابق ج ٦ ص ١٨٠

(١٩) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨٤

(٢٠) المرجع السابق ج ٦ ص ٥٣٩

(٢١) المرجع السابق ج ١ ص ٥٨٢

(٢٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٩

(٢٣) المرجع السابق ج ٤ ص ٤٤٥

(٢٤) المرجع السابق ج ٤ ص ٦٢٩ — ٦٣٠